القرآن أقوى حصن لحماية اللغة العربية

بقلم الاستاذ عبد الرزاق البصير (الكويت)

ان اللغة العربية كانت محصورة او كالمحصورة في شبه الجزيرة العربية . واذا تجاوزتها الى العراق أو الشام فان هذا التجاوز ضعيف لا يكاد يؤثر في تلك البلاد . كان هذا الحال قبل سطوع نور الاسلام فلما قدر الله لهذه الامة ان تجتمع قوتها ويلتئم شتاتها وتتفتح منافذ الفكر لها وينبسط سلطانها على جميع البلاد التي انتشر فيها الاسلام ، اصبحت لغة هذه الامة منتشرة بين الشعوب الاسلامية . وشتان بين ان يتحدث عشرة ملايين مثلا بلغة من اللغات وبين ان يتحدث بها اكثر من مئة مليون . اقول شتان بين الحالتين فان اللغة تكتسب قوة وتطورا حينما يكثر المتحدثون بها ولاسيما اذا ما كانت تلك الشعوب مختلفة الاجناس لها حضارات ومدنيات قديمة عريقة .

وهذا ما حدث للغة العربية بعد انتشار الاسلام اذ انها كانت قبل ظهوره لغة سكان شبه الجزيرة العربية المنتشرة في مشارف الشام والعراق . اما بعد انتشار الاسلام فانها اصبحت **لغة كثير من الشعوب الاسلامية** وذلك بفضل **الدين الحنيف** وبفضل نزول **القرآن** الكريم . فان لهذا الكتاب العزيز في قلوب المسلمين مكانة جليلة لا تعادلها مكانة اذ انه يتلى صباح مساء . سواء كان ذلك في اوقات الصلاة او في غيرها .

ولسنا في حاجة الى ان نشير الى ان الذكر الحكيم يتضمن كل ما جاءت به الشريعة السمحة من تطور وتجديد في العقول والافكار مما احدث في العرب بصورة خاصة وفي المسلمين بصورة عامة تغييرا شاملا في كل مجال من مجالات الحياة بما فيها اللغة العربية . فقد زاد في مدلولات كثير من الفاظها الامر الذي زادها قوة على قوتها وعمقا على عمقها .

ولقد اجمع الباحثون على ان **القرآن الكريم** كان ولا يزال **من اهم الحصون التي حمت اللغة العربية** من الضياع ، ولاسيما في العهود المظلمة التي اصبح فيها التدريس بغير اللغة العربية ، والتفكير العربي مشلولا او كالمشلول ، فلولا كتاب الله العزيز لضاعت اللغة العربية في عالم النسيان .

ومما لا شك فيه ان **الاسلام قد خلق علوما كثيرة** منها ما يتعلق باللغة نفسها ومنها ما يتعلق بالدين كعلم النحو والصرف والبيان والمعاني والبديع وعلم التفسير وعلم الفقه وعلم الاصول وعلم الحديث الى غير ذلك من العلوم الاسلامية الكثيرة ، ومن المعروف ان كل علم له اصطلاحاته الخاصة بمعنى انه ياخذ الالفاظ اللغوية ويطلقها على اصطلاح بعينه مما يزيد معاني اللغة فيجعلها واسعة عميقة ، من ذلك مثلا لفظة المجاز والاستعارة والمصدر والاستنباط والزكاة والصوم والصلاة وغير ذلك كثير . فان هذه الكلمات كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ولكن مدلولاتها زادت بعد الاسلام .

على ان تفصيل ما ذكرت يحتاج الى سفر من الاسفار . ان قوة اللغة العربية وانتشارها بسبب ظهور الاسلام وانتشاره متلازمان بصورة اكيدة . ولا يفوتني هنا ان اشير الى ان لغتنا العربية لا يمكن ان تتحمل كل هذا التوسع والاستيعاب لكل ما طرا على حياة الامة العربية من تطور وتقدم في جميع مجالات الحياة لا يمكن ان تحتمل هذا كله لولا اصالتها وقابليتها العجيبة مما ادهش المنصفين من العلماء الاجانب الذين تعمقوا في دراسة لغة القرآن .

مما تقدم يتضح اني من الذين يقولون بوجود علاقة سببية بين الاسلام واللغة العربية وانه لولا الاسلام لما تاتى للغة العربية ان تنتشر في العالم .